ختام الموسم

ندوة

دور وسائل الأعلام

في إشاعة اللغة العربية الفصيحة

أدارها

الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم/ عضو المجمع

وشارك فيها

الأستاذ: محمود الشريف. والأستاذ أحمد العناني

السبت 20 شعبان 1407هـ/ 18نيسان 1987م

كلمَة

الأستاذ محمود إبراهيم

عضو مجْمَع اللغـَة العَربيَة الأردني

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

في زمن مضى، كانت اللغة السليمة تكتسب اكتسابا من البيت الذي يعيش فيه الإنسان العربي، أو من مجتمع هذا الإنسان، والبيئة الكبيرة التي كان يعيش فيها. ثمانقضى هذا الزمن، ولم يعد البيت العربي ولا المجتمع العربي الكبير بقادر أو بقادريْن علىأن يكسبا الانسان العربي اللغة العربية السليمة. ولذا فقد انتقل الامر من اكتساب تلقائي للغة العربية السليمة ،الى تعلُّم لهذه اللغة عن طريق المؤسسات الثقافية، بدءاً بالكتاب ومرورا بالمدرسة، وانتهاء بالجامعة.

وبمرور الزمن، أصبح لدينا من المؤسسات الأخرى ما له دور كبير جدافي إ شاعةاللغة العربية الفصيحة ، أولا سمح الله،في تشويه اللغة العربية الفصيحة: إنها مؤس ساتالاعلام الذي وصل الى ما يمكن أن نسميه ثورة الاتصالات في عالمنا الحديث.والحديث عن الاعلام وأجهزته القوية ذات الأثر الكبير، إنما هو نافلة من القول في هذاالوقت الني نعيش فيه. فكلنا يدرك أثر الكلمة المكتوبة،سواءأكانت في كتاب أم في صحيفةأم دورية أم في نشرة أم ى مُلْصَقة، وكذلك أثر الكلمة المطرقة التي تخرج منمذياع او تلفاز أو من شريط مسجل. واذا كان الناس من قبل لا يستطيعون الوصول الى اللغة إلا من خلال الكلمة المكتوبة، يخيرون أن يقرأوها أو لا يقرأوها ، فقد اقتحمتعليهم في زمننا هذا أجهزة الأعلام بيوتهم ، وأصبحوا معرَّضين لهذه الكلمة سواء أرادوا ذلك أم لم يريدوا. وقويَ أثر هذه الأجهزة بتطور التقية الحديثة، فكان هذا التلفاز الملوّنالذي يشدّ العين والاذنفي آن معا إلى ما يقوله أو يبثه، والذي يقتحم على كل منابيته،

لكى يُسمِع صوته للكبير والصفير على السواء، بغض النظر عن أي مستوى ثقافي أ و اجتماعي أو اقتصادي لهذا المستمع. ومن هذا كان هذا الأثر الجبار لأجهزة الاعلام في اللغة. واللغة ليست وسيلة اتصال ومواصلة فحسب ، بل هي بالاضافةالى ذلك «تصو غ الأحاسيس والأفكار. ولقد حرصت وزميليّ في هذا اللقاء على أن نحصر قدر المستطاع، بل إلى أكبر حد مستط اع، في

نطاق العنوان الذي خططنا له لهذه الندوة (أثر أجهزة الاعلام في إشاعة اللغة العربية الفصيحة). ولذا فان ما نتحدث فيه سوفينحصر في اط ُر خ ُط ّط َلها أن تكو ن ملتصقة التصاقا تاما بالموضوع الذي اخترناه.

وه ذه الأطر تحتوي أربعة بنود:

ا . ما الغرض من حرصنا على إشاعة العربية الفصيحة من خلال أجهزة الاعلام؟ ه ل هي زينة نتوخّاها، أم أن الأمر يتعلق بدور وظيفي مرتبط بحياتنا العملية؟

2 . ما الذي نتصور أنه عوامل قصور وتقصير بالنسبة الى أجهزة الاعلام فيما يتعل ق باللغة العربية السليمة؟

3 . ما الذي نطلبه ونتوخاه ونتوقعه من أجهزة الاعلام بالنسبة إلى إشاعة العربية السليمة؟

4 . أيّ مقترحات و توصيات محددة يمكن الخروج بها من ه ذه الندوة؟

أما بالنسبة الى الزميلين الكريمين،فأنني أقصر القول عن كل منهما فيما يلي م ن المعلومات الموجزة:

فالأستا ذ محمود الشريف كاتب و صحفي وباحث إعلامي مخضرم ، عمل في حق ل الاعلام م نذ ثلاثين عاما ،وأسس مجموعة من الصحف ، منها صحيفة المنار ، والأفق الجديد ، وجوردن ستار، والدستور، وجمع بين رئاسة التحرير والادارة العامة له ذه الصحف. وقد عمل بين سنتي 1968 - 1974 مديرا عاما لادارة الاعلام في قَطَر وأسس فيها التلفزيون القط ري، وطوّر إذاعة قَطَر، وانشأ متحفها الوطني، ودوائر السياحة والآثار والثقافة والفنون، كما أسس معظم صحف قطر ومجلاتها ،وهو عضو في عد د كبير من المؤسسات الاعلاميةالاردنية والعربية والدولية، ويشغل حاليا منصب رئيس مجلس إدارة الدستور.

وأما الأستاذ أحمد العراني، فقد تخرج من مؤسسة تعليمية كانت في وقت من الأوقات لها سمة متميزة في العالم العربي بأكمله، تلك هي الكليّة العربية في القدس،

وقد تخرج منها عام 1941، ثم قام بدراسات خاصة عديدة وعمل فترة من الزمن فيالتدريس، ثم عمل في مكتب أمير دولة قطر في منصب مدير لابحاث التاريخ والوثائق، وذلك بين سنتي 1971- 1986. وقد زاول العمل الاعلامى منذ ما يزيد على خمسوأربعين سنة ، وما يزال. وقد

ترجم ودقق موسوعة دليل الخليج وتاريخه. وترجم كتابالسياسة المالية للدولة الإسلامية ،ونشرت الترجمة في انجلترا في الصيف الماضي، ووضع كتابا بالانجليزية عن التاريخ المبكر لعرب الخليج، إضافة إلى كتابته مجموعة منالبحوث الخليجية،وألف مجموعة من الكتب في الأدب ، ولا سيما في حقل القصة.

وأول ما نحاول بحثه معا، هو ما الذي نهدف اليه من تطلّبنا أن تقوم أجهزة الاعلام بدور في إشاعة العربية الفصيحة؟ هل هي زينة أو حلية نريد أن نتحلى بها ،أم أن ثمّةأشياء وظيفية عملية نبني على إشاعة العربية الفصيحة من خلال وسائل الأعلام؟

كلمَة

الاستاذ محمود الشريف

رئيس مجلس إدارة الشركة الأردنيَّة للصَّحافة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستاذ الفاضل رئيس مجمع اللغة العربية الاردني
حضرات الاساتذةالاكرمين
حضرات السيدات والسادة:
أود أولا أن أشكر مجمع اللغة العربية على دعوتي للمشاركة في ه ذه الندوة التي تبحثفيما يمكن تسميته (بأزمة اللغة الفصيحة) ودور وسائل الإعلام في إشاعتها بين الناس.فاللغة الفصيحة تعاني من إهمال واضح في مجتمعاتنا العربية. ووسائل الاعلام تتحملقدرا من المسؤولية في ه ذه الحال التي آلت إليها لغتنا الفصحى.

ولعلني لست بحاجة إلى الاسهاب في الحديث عن أهمية وخطر وسائل الاعلام فيالمجتمعات الحديثة. إذ لا شك عندي في أنكم قرأتم وسعتم الكثير عن هذاالموضوع. بل إنكم تلمسون الاعلام وخطره في حياتكم وحياة عائلاتكم كل يوم.
فوسائل الاعلام (خصوصا تلك التي تخاطب الجماهير الواسعة في الأمة ، وأعني بهاالصحافة والاذاعة والتلفاز) أصبحت تتدخل و تؤثر في أد ق تفاصيل حياتنا اليومية . وهفي اقتحامها لحياتنا، ومحاصرتها لنا في الليل والنهار، أصبحت تؤثر في طريقة تفكيرنا ، وتحدد لنا أولوياتنا وردود فعلنا إزاء الأحداث، و تشكل لنا ولأو لادنا وبناتنا وزوجاتنا أنماطالسلوك،والاذواق،والمبادئ والقيم التي تقود مسيرتنا في ه ذه الحياة، وبالتالى أصبحتتتدخل في صياغة حاضرنا ومستقبلنا معا.

لذلك لا عجب أن يصف بعض الناس ه ذه الظاهرة ، ظاهرة سيطرة الاعلام علىالمجتمعات الحديثة بأنها (ثورة). ويصف العصر الني نعيش فيه بأنه عصر (ثورة الاعلام).

غير أن لهذه الثورة كما تعلمون حسناتها وسيئاتها، وفوائدها ومضارها. فاذا كان منحسناتها أنها كسرت احتكار (المعرفة) ، وجعلتها بعد أن كانت حكرا للقلة المتعلمة أوالمثقفة ، مشاعا بين الملايين من البشر، فان من سيئاتها أنها تهدد بكثير مما تنشره

وتذيعه بين الناس، الثقافات الوطنية للشعوب،و تشكل خطرا على تقاليدها ومواريثهاوخصائصها المميزة.

وإذا كان من حسنات ثورة الاعلام أنها حطمت حواجز الزمان والمكان ، وجعلت منهذا الكوكب الأرضي (قرية) صغيرة تتجاور فيها الاديانوالاجناس والثقافات، فان من سيئاتها أنها فتحت الأبواب على مصاريعها، لهذا الفيض الهائل من صور الترويج والاغراء اللذيْن تصبهما على الناس عن طريق الافلام والبرامج والمواد المستوردة وفرضت عليهمبذلك أنماطا سلبية من السلوك، تتناقض في كثير من الحالات مع تقاليد المجتمع، وتهدد تراثه الثقافي.

فاذا كان هذا هو خط الاعلام في صياغة (الذوق العام) للشعب، فما هو إ ذن موقفها من اللغة الفصيحة و د ورها في إشاعة استعمالها في المجتمع؟

إننا إذا نظرنا في القوانين والأنظمة التي أنشئت بموجبها وسائل الاعلام الرسمية (وأعني هذا الاذاعة والتلفزيون)، لا نجد نصوصا واضحة تلزم المؤسستين بأداء دور معينفي اشاعة اللغة الفصيحة بين أبناء الشعب. ولعل السبب في ذلك (إ ذا أردنا ترجيححسن النية) يعود الى الافتراض بأن المسؤولين عن الاعلام الرسمي ، سيحرصون م ن تلقاءأنفسهم على الاعلاء من شأن اللغة الفصيحة ، فيما يقدم ونه للنا س من برامجوموضوعات ، باعتبارها اللغة الأم التي لا تحتاج الحفاوة بها ، والاهتمام بأمرها الى نصوصأو قوانين. و لكن إذا صح وجود مثل هذا الافتراض عند الذين سنوا القوانين المؤسِّسَةِ لوسائل الاعلام الرسمية، فان النتا ئج التي نلمسها تكشف بأن العاملين في الاذاعةوالتلفزيون، لا يحسون بمسؤولية خاصة تجاه إشاعة استخدام اللغة الفصيحة في أوساطالجماهير،شأنهم في ذلك - للأسف - شأن مؤسسات الاذاعة والتلفزيون في سائرأرجاء الوطن العربي الكبير.

أما الصحافة فشأنها مختلف نوعا ما، حيث أنها تنشر مادتها في الأسا س باللغةالمكتوبة التي هي الفصحى، على الرغم مما نلاحظه في فصحى الصحافة أحيانا منخروج على قواعدها في النحو والصرف، ومن تلويث لها بالألفاظ العامية أو الدخيلة، أواستخدام خاطئ للألفاظ على غير ما تدل عليه معانيها الصحيحة. ولكن لا بد من

الاعتراف بان اللغة الفصيحة المستعملة في الصحافة العربية اليوم ، تختلف اختلافا بين ّاعن الفصحى التي عرفها العرب في الما ضي. ذلك انه يستحيل ا لكتابة اليوم بلغةالزمخ شري والحريري. (وسأعود لتفصيل ه ذه النقطة بعد قليل). كذلك فان فصحىالصحافة العربية اليوم تختلف حتى عن الفصحى التي كانت تلتقب بها الصحافة العربيةفي مطلع هذا القرن ، حيث أصبحت فصحى مبسطة ،سقطت منها بالضرورة أ شكالالسجع ،والوان الزخرفة اللفظية التي سادت الكتابة الفصحى الى عهد ليس ببعيد. فهذهجريدة (لسان الحال) التي صدرت في بيروت منذ مايو عام تلتزم في افتتاحيتها بالفصحىالمسجوعة. و ها هو صاحبها الماروني خليل سركيس يبدأ الافتتاحية بقوله: (الحمد للهالذي يُسبَّح بحمده في الغدو والآصال، ويَنْطِقُمفصحاً بتعدد آلاءه (لسان الحال)..حمدا يدوم آناء الليل واطرافالنهار، ما غرّد قمريٌ وترنم هزار.. ثم تمض الافتتاحيةكلها على هذا النحو المسجوع. بل إن افتتان ز ملائنا الصحفيين في تلك الايام بأساليبالأداء القديمة للغة ، دفع بعضهم الى استخدام الشعر في رواية الاخبار . فه ذه جريدة كانيصدرها في مطلع القرن صحفي يدعى أمين ناصر في ساحل بيروت ، تصف عاصفةشديدة ألمت ببلده (جزين) وسببت خسائر مالية كبيرة بقصيدة شعرية تقول:

ولقد غدا شجر الصنوبر مالئاً تلك الربوع وبالألوف تعُدّرا
(والجوز والزيتون ولكذا السقوفعن المنازل بالعواصف طُيرا)
وديار (يتما) لم يعد لسقوفهاأثر... وقد أوت الوحوشالى القرى
والثلج قد غطى الديار جميعها وانسدت الطرقات حتى لا تُرى

واذا نحن شكونا غربَةَ الفصحى في ديارنا ه ذه الايام،فاننا قد نجد بعض العزاء فيمانقرؤه عن حال الفصحى التي كانت تستخدمها بعض الصحف العربية من ذ نصف قرن.فها هو اديب العربية المرحوم مصطفي صادقالرافعي، ينعي على أمته في زمانه، إهمالها شأن الفصحى فيما ينقله عن الحال المزرية التي وصلت اليها فيما كتبته احدى الصحفوالتي كانت تصدر في (طنجة) وهي تتحدث عن فريضة الحج. تقولالصحيفة: (الكعبة مبنية من طرف إبراهيم خليل الهي. ولكن بمرور الدهر والازمان، وبتأثير سيلان وامطار قد خربت مرارا. ولكنها تصلحت من موادها القديمة واحجارها الابتدائية.

وحجر الاسود موضوعة بمحلها يد المباركة المحمدية ρ. ونظرا للتواريخ القديمة إن

ان ماء ز م زم خرجت من ضربة قدم سيدنا اسماعيل ومن المعاني والمباني... زيارة بيت اللهالمقدس.. أهم المادة وهي اجتما ع مسلمين العالم في كل سنة في الاراضيالمقدسة الحجازية بتأييد الولاء والمخالصة بين العالم الإسلامي».

ان صحافتنا العربية اليوم على الرغم مما نأخذه عليها من تقصير في شأن الفصحى، هي على وجه اليقين ،أكثر حفاوة بالعربية من صحيفة طنجة ،وأكثر التزاما بالاسلوب الصحفي الحديث في صياغة الاخبار من جريدة لسان الحال!

غير أن ذلك لا يبني أن يحجب عن أعينها حقيقة هبوط مستوى الاهتمام باللغةالفصيحة بصورة عامة في الصحافة العربية ، وان كانت ه ناك بطيعة الحال فر وقبين صح يفة وصح يفة وقطر وقطر. فالصحافة المصرية م ثلا تميل اكثر من غيرها لا ستخداماالعامية المصرية في تعليقاتها ومعالجاتها. و من شاء فليقرأ المجلات التي تصدر عن داراروز اليوس ف، وبالقيا س نلاحظ أن ه ناك اهتماما واضحا بسلامة اللغة العربية في جريدة(النهار) اللبنانية، وهكذا..

أعيد القول بأنه وان كانت ه ناك فروق لا يسمح الوقت باستعراضها وتحليلها (ولعلمجمع اللغة العربية الاردني يقوم باعداد مثل ه ذه الدراسة ونشر ها)، فان الصحافة العربية لاتعطي الاهتمام الواعي المطلوب لقضية اللغة الفصيحة ، وأساليب إشاعتها بين النا س.ولكن الصحافة تظل على كل حال أكثر حفاوة بالفصحى من الاذاعة والتلفزيون. ولعلمن أسباب ذلك أن الصحافة موجهة باللغة المكتوبة للفئات المتعلمة في المجتمع، بينما
الاذاعة والتلفزيون تخاطب جماهير المتعلمين والأميين على حد سواء ، ولهذا فهي تراوحبين استخدام الفصيحة والعامية في موادها الإعلامية.

ولما كانت الاذاعة والتلفزيون يخاطبان الناس على اختلاف أعمارهم وأذواقهم ومهنهمويخاطبان ابن المدينة وابن الريف ، وابن البادية، فهما مضطران الى المزج بين استخداماللسان الفصيح واللسان العامي، بحسب ما تقتضيه طبيعة المادة الاعلامية نفسهاوالمستوى التعليمي للغة التي يوجه اليها الخطاب.

وبعبارة أخرى، فان التنوع في طبيعة المستمع أو المشاهد ، فرض تنوعا في ط بيعةاللسان الذي تقدم به المادة اليه. وقد نجم عن ذلك (تقاليد) معينة في استخدام اللغةالتي تقدم بها برامج الاذاعة

والتلفزيون، بثتها جميع الاذاعات العربية .
فمن هذه التقاليد على سبيل المثال أن تقدم الاخبار والتعليقات السياسية والبرامج الثقافيةوالدينية وما شابهها باللغة الفصيحة ، وان تقدم البرامج الغنائية ، وبرامج التسليةوالمسابقات والبرامج الموجهة للاطفال وربات البيوت وسكان الريف باللغة العامية بل اننا نلاحظ ان المسلسلات التي تتناول حياة الناس في هذا الزمان (سواء ما ينتجه منها فيالاردن أو ما نستورده من مصر ومن غيرها من البلدان الشقيقة)، يقدم باللهجة العاميةالمحلية. والمسلسلات التي تدور أحداثها في بادية الاردن مثلا لا تقدم باللسان العامي فحسب، ولكن باللهجة البدوية، بينما يختلف الأمر إذا كان المسلسل يتناول فترة فيالتاريخ العربي الاسلامي القديم، فانه يقدم بالفصحى التي يفترض أنها لغة ذلك العصر.

وهكذا فان المادة المذاعة تفرض لهجتها، وليس في ذلك فيما أرى عيب أو تقصير.ذلك أنه لا يدور بخلد أحد أن يُقَدَّمَ برنامج موجّه للفلاحين في الأردن مثلا عن وقايةأشجار الفاكهة من الحشرات الضارة أو لربات البيوت عن صنع الحلوى باللغة العربية الفصيحة.

إن علينا ان نعترف إذن بحتمية هذا المزج بين العامية والفصحى فيما قدمه الاذاعةوالتلفزيون للناس من مواد اعلامية متنوعة. غير اننا مع ذلك كله ، نحس أن من واجبالاذاعة والتلفزيون أن يسعيا إلى إشاعة الفصحى والى تقديمها على العامية كلما كانذلك ممكنا.

كذلك فاننا ندعو الى أن يُقَرَّبَ البرامج التي تقدم بالعامية في الاذاعة والتلفزيون منالفصحى قدر الامكان، وبعبارة اخرى أن تكون عاميتها نوعا من الفصحى المبسطة ، فذلك أدعى لتعويد آذان الناس على سماع الفصحى ، والتعلق بها ، والاقتراب منها حتىفي أحاديثهم العادية وتعاملهم بعضهم مع بعض. كذلك نرجو أن تتخلص البرامج التيتقدمها الاذاعة باللغة الفصيحة، من كل ما يشوبها من اعوجاج، وتلوث، وعجمة، وان يتقيد المذيعون والمذيعات بأصول النحو والصرف، وان ينطقوا الألفاظ نطقا صحيحا، وان يحاولوا ما وسعهم الجهد مطابقة الكلمات لمدلولاتها في اللغة وتطهير اللغة السياسيةالمستعملة في وسائل الاعلام من عبارات المبالغة، والصيغ اللغوية البرّاقة التي تجعلالمواطن العربي يشك في صحة ما يسمع، خصوصا اذا كان الواقع الملموس يناقضالصورة التي تحاول أن ترسها وسائل الاعلام.

إننا نرجو أن نتعلم الدقة في استعمال الالفاظ، بحيث يكون المعنى على قدر المبنى لا يزيد عنه ولا ينقص عليه. ذلك أن لغتنا العربية قد أصبحت تتهم بأنها لغة (فضفاضة) قاصرة عن ترجمة ما في الوجدان بالدقة المطلوبة. وليس العيب في اللغة وانما في أسلوب استخدامها. وفي هذا يقول الدكتور زكي جابر: "لقد أصبحت أجهزة الأعلام العربية (مجرشة كلام) تطحن الملايين من الكلمات التي تفتقر إلى دقة المعنى ، ولهذا فانالمبالغة التي تحفل بها اللغة العربية السائدة في وسائل الاعلام قد تركت بصماتها علىالمدركات ، بحيث أصبحت المغالاة والمبالغة من ميزات السلوك عند الفرد العربي. وحلت الكلمات لديه محل الافعال".

وانه لمما يجدر الغيارى على اللغة الفصيحة ، أن يلاحظوا أن إذاعة لندن البريطانيةالناطقة بالعربية هي الأكثر احتراما للغة من سائر الاذاعاتفي الوطن العربي. ويبدو ذلك أكثر ما يبدو فينشرات الأخبار. وإنك لتلاحظ حرص المذيعين في تلك الاذاعة على الدقة في اختيار الالفاظ المرادفة للمعاني، وعلى سلامة النطق، والتقيد بقواعد النحووالصرف. وهي أمور لا تحظى للأسف الشديد باهتمام أقرانهم في الاذاعات العربية. واذا كانت إذاعة لندن قد فرضت على العاملين فيها احترام اللغة الفصيحة، فلست أدرى لماذا يكون عسيراً على إذاعاتنا العربية أن تحذو حذو الاذاعة البريطانية، وان تنهج على منوالها.

وقد يتساءل بعضكم لماذا تقف أجهزة الاعلام العربي هذا الموقف من اللغةالفصيحة؟ هل هو الإهمال وحده ؟ أم أن هناك عوامل أخرى ينبغي أنتكون موضعالدراسة والتحليل.

لا شك أن الاهمال واللامبالاة هما سببان أساسيان في موقف وسائل الاعلام من اللغةالفصيحة. ولكن هناك أسبابا أخرى تتجاوز الأعلام ووسائله، تتصل أولا بموقف المجتمعكله من قضية الفصحى، وثانيا بموقف الفصحى من الحياة.

فالإعلاميون هم في نهاية الامر نتاج عصرهم وثمرة المناخ السائد في مجتمعاتهم.
أول هذهالأسباب فيما أرى هو نظام التعليم في بلادنا العربية ، حيث تدنى الاهتمامبتعليم اللغة الفصيحة للاطفال والراشدين على حد سواء،وادى انتشار المدارس ورياض الاطفال الاجنبية الى خلق المنافسة في نفوس أطفالنا بين اللغات الأجنبية التي تعلمها هذهالمدارس وبين اللغة الأم في سنوات التكوين النفسي والذهني للطفل العربي، وهي السنوات

التي يتشكل فيها ذوقه، وتتبلور فيها شخصيته ، ويكتسب صفات واذواقا معينة، تظل معهطول العمر.

ولعلني لا أبالغ إذا قلت إنّ من أكبر الكوارث التي حلت باللغة الفصيحة هي أن ارتبطت بتلويث ثقافة الطفل العربي ووجدانه ونظرته، بالثقافة الاجنبية وباللغات الاجنبية ، وهو ما يزال طري العود، وغرست في ذاتيته هوان لغته الأم بالقياس للغات اخرى.

أليس لنا أن نتساءل والحالة هذه: كيف يمكن لطفل عربي تخرج من هذه المدارس وهو يرطن باللغات الاجنبية، ثم التحق بالمدارس الابتدائية فالثانوية، ثم دخل الجامعة، حيث تلقى حظا قليلا من اللغة الفصيحة على أساس أنها (مادة) في مناهج الدراسة،وليست كما ينبغي ان تكون عنوانا لوجوده وتعبيرا عن قوميته، كيف يمكن لهذا الطفلبعد أن شَبَّ عن الطوق وتخرج من الجامعة طبيبا أو مهندسا أو محاميا أن يحترم لغة لميتشأ على احترامها وهو صغير؟ وكيف يمكن له ان يتكلمها من غير لحن أو اعوجاج وقدغرست في أعماق أعماقه منذ الصغر أنّ دراسة اللغة الوطنية ليس هدفا منتظرا بوجوده كانسان في مجتمع يحترم لغته وتراثه وانما هي مجرد جسر يجتازه للحصول على الشهادة؟

ان اللغةكما تعلمون أيها السيدات والسادة، ليست مجرد (مادة)علمية في مناهجالدراسة، وانما هي أكبر واخطر من ذلك بكثير. فهي مادة الوجود الانسانيذاته، هي عنوان شرف الامة والشارة التي تميزها عن غيرها من الامم. هي ذاكرة الامة والوعاء الذييحفظ تاريخها، وهي المستودع الاكبر الأمين لكل التواث الاجتماعي . وهي أيضا العاملالأوحد لنشر هذا التراث بصورة مشتركة بين أبناءالأمة. بل هي علة ضم أفراد الامةبعضهم الى بعض. بها يتسلم الجيل الطالع المتواري نظرته في الانسان، والطبيعة ، والخالق، فهي إذن همزة الوصل بين أجيال الأمة. لقد وعت الامم العظيمة هذه الحقيقةفأنزلت لغتها القومية أرفع المنازل، وتباهت بها في اعتزاز وكبرياء. وفي هذا يقول (برتراندرسل) إن الاستعلاء العرقي للشعب الألماني عند الفيلسوف نيتشه ينبع في حقيقته من نظرته لسمو اللغة الالمانية، وعظمتها، واستعصائها على التلوث والتهجين .

ويقول الدكتوركمال يوسف الحاج في مؤلفه الرائع عن فلسفة اللغة «من أجل ذلك،كانعظيماجدا

خطأ الذين يفرضون لغة اجنبية كأداة للتدريس على التلميذ دون سن العاشرة.

فكأنهم يفرضون عليه أن يعيش غير تاريخه، أن ينتسب الى أجداد غير اجداده، وانتمائه الى غير قضيلته، الى غير أمته، وان يتصرف بلسانه عكس منطق العفوية التي فطر رهالله عليها. إنّ معارف مثل هذا الجزئي هي ضرب من الزنى الفكري المخرب لعفافالتاريخ القومي. ولذلك من المستحسن أن ينتظر الولد ريثما يكون قد اكتسب لغته الأم،قبل أن يقدم على دراسة لغة ثانية. إنّ من الضروري أيضا تعليمه في مرحلة الصغر النطقالصحيح، والتعبير القويم والقواعد اللغوية السليمة. لان الولد الذي يتدرب على صحةالتعبير، يتدرب على صحة التفكير. اذ التعبير والتفكير جوهر واحد. فلذا اعتاد الولد منصغره سماع اللغة الصافية، تعلم طرق استخدامها بغير عناء. وكل الأمم الراقية وعت هذهالحقيقية النفسية والتربوية، فلم تسمح بتسرب لغة أجنبيةالى قلوب الاولاد دون سنالعاشرة»

ثم يمضي الدكتور الحاج فيقول: لقد دّلتْ جميعُ الأبحاث النفسية واللغوية على أنّ الولدالذي يزاول لغةً أخرى مَعَ لغته القومية، وهو دون العاشرة،تضعف طاقته الاستيعابية بينلغتين. واحدة يتكلمها بتلقائية وواحدة يتكلمها بجهد في اللسان والفكر، مما يجعلهيتذبذب بينهما، بدلا من أن يستقر في حضن لغته القومية. وهكذا يتوزع الولد بينتاريخين وعبقريتين. حيث انلكل لسان عبقرية خاصة. فإذا استطاع المرء لفترة منالوقت أن يوفق بين لسانين في صغره فإنه يعجِزُ عن ذلك في كبره. إذ لا بد لاحدىاللغتين من أنْ تسيطر على الثانية. لا مجال لازدواجية لسانية في آن واحد، لانها عكسشريعة الحياة ومنطق الواقع الانساني.

وها هو الدكتور يروي لنا قصته الذاتية وكيف بدأ يتعلم الفرنسية والعربية في المدارسالاجنبية، ثم سافر الى باريس واكتشف هناك نسق لغته القومية، فظلياكافح حتىاستعاده. وهذه القصة المؤثرة جديرة بأن يتعظ بها كل المربين الذين يتصدرون لتعليمالطفل في بلادنا العربية.

يقول الدكتور الحاج «لقد شعرت في باريسبأنني بَعُدت عن نقاء العربية، فسليقتهاالرفيعة في القلم، ومجراها السريع في الاداء. ثم شعرت من جهة أخرى بأنني لم أدنُ منناقة الفرنسية فسليقتها

الرفيعة في القلم ، ومجراها السريع في الأداء. وهكذا ترنحتقضغوطا بين لسانين مبتورين فيّ...بعُدتُ عن صرفاء اللغة العربية، وعن بداهتها فياللسان، ورشاقتها في الكتابة. بعدت عنها لأنني هجرتها كتابة وقراءة ومشافهة.

وفي الوقت نفسه، لم يعد ممكنالي أنْ أدرك عَفاف اللسان الفرنسي أي عبقريته(يقول هذا وهو الذي ترجم كتب الفيلسوف برغسون إلى العربية).

لم يعد ممكنالي أن أدرك عفاف اللسان الفرنسي، لان مهدي بلاد الشرق، وأرضي وسمائي وهوائي وشعبي وخلاني من بلاد الشرق. وهكذا عدت للغتي الأماكتب بها.ذلك ان الانسان لا يكتب بأنامله وانما يكتب بكيانه كله. بجسمه، بروحه. يكتبماضيه وماضي قومه. ويكتب بمناخ الطبيعة التي ولد في أحضانها»

نخلص من هذا العرض الى أهمية ترسيخ حب اللغة الفصيحة في أعماق الانسانالاردني والعربي منذ نعومة أظفاره. وتحضرني في هذا المقام مقارنة بين الذين يدرسون فيرياض الاطفال الحديثة، وبين الجيل الني درس اللغة العربية في (كتاب القرية). واذا كانمن العدل أن نعترف بأن رياض الأطفال والمدارس الابتدائية الحديثة، قد ادخلت فيتعليم الناشة دروسا ومواد لم تكن تتاح لطلاب (الكتاتيب) فان لكتاب القرية فضلالسبق على المدرسة الحديثة في جانب مهم وهو تركيز اللغة العربية الفصيحة في وجدانالاجيال التي درست فيه، وله الفضل فيما منَّ الله به على هذه الاجيال من حبللفصحى، نراها في استقامة ألسنتهم ونفورهم من العجمة،والاصرار على اختيار الاروعوالاسلس من أساليب التعبير. كان هذا الجيل يحفظ في (كتاب القرية) عن ظهر قلبثلث القرآن أو نصفه، دون أن يدرك - أحيانا- تفسير ما يقرأ أو معانيه. والويل كل الويللمن كان يلحن أو يخطى في نطق كلمة أو آية. كان يحفظ عن ظهر قلب المعلقاتالسبع ومختارات من الشعر الجاهلي والعباسي وشعر المتأخرين والشعر الحديث. وكانبعد انتقاله لمراحل الدراسة المتوسطة والعليا، يقرأ ويحفظ لأساطين الفكر والشعر والأدبللعربي الحديث من أمثال العقاد وطه حسين والمازني والرافعي وشوقي وخليل مطرانوحافظ ابراهيم واسعاف النشاشيبي و ابراهيم طوقان والرصافي وغيرهم.

كان يتخاطف مجلة (الرسالة) ويستمتع بالقراءة لتلك النخبة العظيمة من رواد الفكر ، وعمالقة القلم، على صفحاتها، وكان يشترك في جمعيات مدرسية للخطابة والمناظرةوالتمثيل والمطالعة

(كان يعيش الفصحى ويستنشقها آناء الليل وأطراف النهار.

هكذا نشأ هذا الجيل على حُ بّ اللغة الفصيحة ، وانغر س تعظيمها واحترامها فيصميم وجدانه منذُالصّغر. فهل تجدون في تعليم اللغة الفصيحة في المدارس الحديثة

اليوم شيئ من هذا الذي ذكرت؟ أين من يحفظ بغير لحن جزءاً واحداً من القرآن الكريم من بين طلاب المدارس الابتدائية ورياض الأطفال؟ وانا ه نا لا اتكلم عن حفظ القرآن باعتباره واجبا دينيا على الطفل المسلم.

ولكنني أتكلم عنه من حيث هو غرسٌ لراية اللغةِ الفصيحةِ وحلاوة البيان الالهي في صم يم وجدان الطفل العربي، مسلما كان أم غير مسلم. فها هو المحامى القبطي المصري الاشهر مكرم عبيد الني كان صوته يدوّي في ساحات القضاء ببلاغة عربية لاأروع منها ولا أحلى، يرد الفضل في إمساكه بناصية البيان إلى حفظه لأجزاء كثيرةٍ منالقرآن الكريم.

لذلك فإنني اعتقد انه ليس كحفظ القرآن الكريم، والنثر الجيد، والشعر الاصيل وسيلة لغرس اللغة الفصيحة في فطرة الناشئة بحيث يتشربون عبقريتها، ويتصلونبروحها ويشبون على عشقها، و تنمو السنتهم على التحدث بها بغير عناء.

أنني أتساءل: هل توجد في عالمنا العربي اليوم مجلة كالرسالة أو الثقافة، ترفع لواءاللغة الفصيحة، وتتيح لطلابنا أن ينهلوا من نبعها الصافي؟ بل اين فيمن يكتب اليوم من ادبائنا من يعنى بدقة العبارة وجمال الاسلوب مثل الرافعي والعقاد، وطه حسين ، والنشاشيبي، بحيث تتلم ذ على ايديهم الاجيال الشابة؟

إننا نعيش - أيها السيدات والسادة - في عصر ا لسر عة...عصر (السند وتش)....عصر الأدب المعلب والأفكار المعلبة، واللغة المعلبة! إن أبناءنا يتتلم ذون علىمجلات الشبك ة والموعد، والموتور وعالم الفيديو، وعالم السيارات. نحن نعيش عصر الأدب المطلسم والشعر الطمطماني الني لايفهمه - على الأغلب- حتى ناظمو ه. نعيشعصر الدعوة المشبوهة لا تتوال الفصحى عن عرشها نهائيا واستبدال اللهجات العامية بها، عصر الكلام الفارغ الني يسيل أنهارا على صفحات الصحف والمجلات، وفيه من الزبدالغث أكثر مما فيه ينفع الناس ويمكث في الأرض.
يقول المدافعون ع ن الغموض في الأدب الحديث الني ابتليت به لغتنا الفصيحة فيزماننا هذا ، يقولون إن هذا الأدب تعبير عما يجيش في صدور الشعراء والكتاب ، وانه ليستمة ضرورة أنْ يفهم الناس ما يقولون وما يكتبون. ولكن هل اللغة إلا مرآة تعكسما فيالوجدان؟ إن وضوح ا لفكر ة يؤدي إلى وضوح التعبير. والمبنى الواضح كما يقول الدكتور

كمال الحاج «وليد معنى واضح. والرديء الوحشي من الالفاظ يعكس رديئا وحشيا منالمعاني. والالفاظ المبهمة والغليظة النافرة القلقة، هي في أمامها معان مبهمة غلي ظة نافرةقلقة.ذلك انالالفاظ لاتقصرعن المعانيولاتزيدعليها وإذا انجلت الكلمات انجلت الذهنيات، وتعطلت نيات النفسواذا انجلت الكلمات انجلت الذهنيات، واستقامت نياتالنفس».

فاذا كانت هذه هي حال العصر، وحال الاهتمام بالفصحى في بلادنا العربيّة وحال(المناخ العام) في الثقافة الرابحة، فكيف يراد للاعلام ووسائله ورجاله، أن يظلوا بمنجاةمن كل هذه المؤثرات السلبية، قلاعا معزولة تدافع عن شرف الفصحى في وجه مدجارف يهددها، ويحاول اقتلاعها من الجذور؟ ان المشكلة كما قلت، تتجاوز الاعلام واجهزته لتتصل بموقف المجتمع كله وموقف الذين يضعون سياسات التعليم للاجيال

الصاعدة من اللغة القومية.

ان المرء ليساوره الشك أحيانا بأن فينا من يخجل من عروبته، ويستحي من الانتسابللغتها وتراثها وتاريخها. فبعض العائلات الموسرة في بلادنا العربية تعلم أطفالها عندمايبدأ ون النطق أسماء الأشياء باللغات الأجنبية على، أساس أن الكلام بها من علاماتالتحضر والتقدم وبنهم من يستأجر لأطفاله مربية انجليزية او فرنسية لا لشئالا ليأخذواعنها لغتها منذ الصغر، ولكن أردنا أن ندخل علم النفس في تحليل هذه الظاهرة فاننا لامناص منتهين الى أن هذه اللغة من الناس، تحس في داخلها باننا امة مهزومة، عليها أنتفر من لغتها وتراثها إلى لغة وتراث الآخرين.

نأتي الآن إلى موقف اللغة الفصيحة من الحياة، ذلك أن قصور اللغة، أية لغة عنمجاراة التطور الواقع في مظاهر الحياة، ينبذها خارج تيار التاريخ ويقض عليهابالاضمحلال فالزوال. وه ناك لغات كثيرة بادت، لانها عَجَزَتْ عن التكيّف معمقتضيات التجدد التي تفرضه سنة الوجود.

فاللغة العربية وأساليبها تتطور بتطور الحياة نفسها ، وهذا الناموس يسري على كلاللغات. ولا أظن احداًيكتب الانجليزية اليوم بلغة شكسبير، او الايطالية بلغة دانتى. غير ان الذين يكتبون من ابناء ه ذه الشعوب اليوم، يتعلمون لغتهم الفصيحة من ذ الصغر، ويحترمونها أشد الاحترام، ويحرصون كل الحرص على التقيد بقواعدها في النحو

والصرف، ولايتجرأون على الدعوة لاحلال اللهجات العامية محلها. ولعلنا حين ندعو إلى احترام اللغة الفصيحة، واشاعة استعمالها في بلادنا، لا ندعو إلى إحياء لغة الجاحظ.الحريري في النثر أو لغة عمرو بن كلثوم والحطي ئة في الشعر. ولكننا ندعو إلىالمحافظة على (جوهر) اللغة الفصيحة، والاهتمام بنحوها وصرفها وغرس احترامها فينفوس الناشئة من خلال تدريبهم على دقة التعبير، وسلامة الأداء، وصحة النطق، واستعمال اللفظ الفصيح مكان اللفظ العامي ما دام مؤديا لمعناه، كل ذلك مع التسليمبضرورة تطويع اللغة نفسها لمقتضيات العصر ولحاجات المجتمع، وبالاساليب نفسهاالتي طوّع بها السابقون اللغة لحاجات عصرهم.

ان هناك من يدعو إلى احلال اللهجات العامية محل الفصحى في الأدب والشروالمسرح جملة. وهناك من يدعو إلى إحلال اللهجات العامية من الوجود وإحلال الفصحى مكانها في كل شيء. وكلتا الدعوتين فيما أرى محكوم عليها بالفشللمعارضتها منطق الحياة. فالدعوة الاولى هدم في صرح الوجود القومي للأمة وتقطيعللصلة الثقافية الوحيدة التي تربط بين الأقطار العربية، وبينها وبين الشعوب الاسلامية التيأخنت تفرض تعليم اللغة الفصيحة في بلادها (كما فعلت باكستان) لكي تزداد فهماللغة القرآن العظيم. والدعوة الثانية دعوة لا عقلانية، لن تبلغَ هدفها لأنها كما قلتمخالفة لشريعة الحياة.

فالازدواجية بين العامية والفصحى موجودةٌفي كل اللغات. لذلك لا مناص من تعايش اللسانين ني الوطن الواحد. فالعامية هي لسان الحياة اليومية، وهي غالبا ما تكون مأخوذةعن الفصحى،واحيانا تكون اختصارا وتبسيطا لها. لذلك يستحيل إلغاؤهابقرار، مهماعظم شأن المرجع النبي يصدر عنه.

ولعل مما يفرضه المنطق والعقل أن نسلم بتجاور اللسانين، ثم نجهد ها وسعناالجهد ان نحول دون طغيان العامية على الفصحى، من خلال المحافظة عليها بالاساليب التي نكرتُ، ومن خلال تبسيطها وتطويرها لتكون أداة سهلة طيعة للاستعمال.

تبقى امامنا مشكلة تعريب الالفاظ والمصطلحات الاجنبية السا ئة، وهي المهمة التينحاول القيام بها مشكورة، مجامع اللغة في الوطن العربي. ولست أدري فيما اذا كان من

حقيوانا المتطفل على المو ضوع كله ، التعرض لم سألة التعريب في وجود الأساتذة الاجلاء المشتغلين بهذه المسألة باعتبارها رسالتهم في الحياة.

غير ان تفشيالالفاظ والمصطلحات الاجنبية في المواد الاعلامية التي تنشر وتذاععلى الأمر ، والانتقاد الشديد الني توجهه مجامع اللغة للاجهزةالاعلامية بسبب هذهالظاهرة (وهي محقة في ذلك إلى حد ما) كل ذلك قد يغفر لي - كإعلاميّ قديم - أبداء رأيي المتواضعفي مسألة التعريب.

إن علينا أن نعترف بداية بصعوبة المهمة التي تتصدى لها مجامع اللغة العربية في هذاالمضمار. فنحن في الشرق ما زلنا عالة على الغرب في معظم ميادين العلم الحديث.والني يخترع شيا، هو الذي يضع اسما ملا ئما له. وحين كان العرب سادة الحضارةالعالمية ، كانوا يضعون لكل مكتشفاتهم أس ماء عربية ف رَضُوها حتى اليوم على لغات الآخرين . فأسماء النجوم والابراجوالاسماء التي أعطاها العرب لكشوفهم في علوم الطبوالزراعة وا لكيمياء والجغرافية والرياضيات والبصريات في العصور الذهبية لنهضتهم، ماتزال تحتل مكانها في لغات الغرب بصيغها العربية، مع بعض التعديل الني يتناسبوعبقرية هذه اللغات. وهذا دليل على ان المتقدم في ميادين العلم وا لاكتشاف، يفرض الاسماء والمصطلحات التي يضعها على غيره. ولهذا فنحن نجرى اليوم وراء لغات الغربنأخ ذ منها ما استطعنا أخ ذه من الأسماء والمصطلحات إلى لغتنا العربية. وهذه التبعيةاللغوية هي أحد مظاهر التبعية الحضارية. فاللغة القومية والامة القوية شرطان متلازم ان.واللغة تزدهر بازدهار الامة وتتقي بارتقائها...حتى اذا ما انحدرت الامة انحدرت لغتهامعها.

والتطور المستمر السريعفي العلوم الغربية، يقذف علينا كل يوم الم ئات من الكلماتالمصطلحات الجديدة الم شتقة م ن جنور اللغات الغر بية لافي مجال العلوم التط بيقيةفحسب، ولكنفي العلوم الانسانيةايضا كالفلسفةوالاعلام والتار يخ والاجتماع وعلمالنفس وغير ذلك. وهك ذا فان عملية الابداع والاشتقاق والتركيب تجرى كلهافي نطاقلغات حية متجددة. والعلم ه ناك يرفد اللغة، واللغة ترفد العلم. والاثنان يتحركان صعودايدا بيد نحو آفاقٍجديدة من الابداعالانساني. اما دورنا فهو للأسف محصور في الوقوف على حافة هذا البركان الذي تتفاعلفي جوفه عبقرية العلم مع عبقرية اللغة،

لنتلقى الحمم على السفوح ونحاول أن نعطيها (بعد أن تبرد وتتسرب منها حرارة التفاعل الخلاق بين العقل واللسان) هوية عربية، واسما عربيا، لذلك لا عجب ان تكون بعضمحولاتنا في تطويع المصطلحات الاجنبية للغتنا الفصيحة، محا ولات متعثرة لانها تظلسطحية قاصرة على التعبير عن حرارة الخلق الاول للمصطلحات في أحضان لغتها الاصلية. ولعل هذا هو السبب في أن وسائل إعلامنا، وبعض علما ئنا ومفكرينا الذين درسوا العلوم الحديثة في الغرب، يميلون لاستخدام المصطلح الاجنبيذاته، و لكن بحروف عربية، إما لان نظيره في اللغة الفصيحة لم يوضع بعد، وأما لأن الأصل الاجنبي أصد ق أداء في نقل المعنى المطلوب ، من المصطلح المعرّب، وهكذا نقرأ في كتاباتهمكلمات مثل (الجيوفيولوجيا، والفينوموفولوجيا ، والانتربولوجيا ، والديكالكية، والديناميكيةمكتوبة بالأحرف العربية، وغير ذلك كثير.

غير ان المشكلة التي نواجهها في تعريب المصطلحات الاجنبية ليست مقصورة علينا وحدنا، بل تواجهها كل الشعوب التي تأخ ذ اليوم من حضارة الغرب وتنقل ثمرات فكره وحضارته الى لغاتها، لذلك فان هذه المشكلة تستدعي منا عنادا واصرارا في التغلبعليها، ليس لمواكبة حركة التقدم في العالم فحسب، ولكن لاثراء لغتنا الفصيحة نفسها ، وتجديد حيويتها وابقائها داخل حلبة السباق مع اللغات الحية في هذا الكون.

وعملية (التبادل) بين اللغات قديمة قدم الحضارة الانسانية نفسها 0 فلقد اخذنا من لغات الشعوب الاخرى، واخذت هي من لغتنا الكثير من الكلمات والمصطلحات في الماضي .ومن خلال اساليب التعريب المعروفة كالوضع والاقتباس، والاشتقاق، والقلب، والابدال، أدخل علماء اللغة العربية الكثير من الكلمات الاعجميةالى اللغة العربية حتى اصبحت منها، وضاعت منا أصولها حتى بتنا لا نعرف عنها الا القليل.

من يتصور مثلا أن كلمات السيف والفيل والبلطة، والبند ق، والفردوس، والسوسن،والصندوقوالاستاذوالالماس كلمات ذات أصول أعجمية.

نخلص مما سبق عرضه، أن وسائلَ الإعلام في استخدامها بعض التعا بير والمصطلحاتالاجنبية إنماتعكس قصورا ما تزال تعاني منه اللغة الفصيحة في مجال التعري ب وان كانذلك لا يعفيها (أعني وسائل الاعلام) من تهمة التقصير في توخي اللفظ الفصيح مكانااللفظ الاجنبي كلما كان

ذلك ممكنا ومتاحا.

أيها السيدات والسادة: اسمحوا لي بعد هذا العرض أن أتقدم بالشكر الجزيل لكم على حسن استماعكم، وأعتذر عن الإطالة، ولكن دعوني ألخص ما أسلفت. إن إشاعة استعمال اللغة الفصيحة في وسائل الاعلام، يتطلب قبل كل شيء إعادة الاعتبار للغة الفصيحة في المجتمع نفسه. كما يتطلب جعل تعليم اللغة الفصيحة في كافة مراحل التعليم وخصوصا في المراحل الأولى- ركيزة أساسية من ركائز سياسة التعليم في بلادنا. كما يقتضي الاهتمام بتعزيز مكانة الفصحى والحض على احترامها في كافة مجالات النشاط الإنساني، في الوزارات، والدوائر الحكومية، والتشريعات ، والمداولات البرلمانية، وفيما ينشر على الناس باسم الادب والشعر والثقافة، وبعبارة اخرى فأن اعلاء شأن الفصحى ليس امرا منوطا بوسائل الأعلام وحدها (وإن كان لها دور مؤثر للغاية في هذا المجال) وانما هو أمر منوط بالأمة كلها، وبمؤسساتها التعليمية والثقافية على وجه الخصوص.

كذلك ينبغي على مجامع اللغة أن تستمر في جهودها المشكورة، لتطويع الفصحى للحياة وسدّ الثغرة بينها وبين علوم العصر، من خلال تعريب المصطلحات العلمية الحديثة، بحيث نصل إلى يوم تدرس فيه جميع العلوم في جامعاتنا ومدارسنا باللغة العربية كما هي الحال في الصين واليابان، وغيرها من دول العالم.

أما أجهزة الأعلام، فيجب النص في قوانينها على استخدام اللغة الفصيحة استخداما صحيحا في البرامج والمواد التي تقدم بالفصحى. وان تحاول هذه الاجهزة تقريب العامية من الفصيحة في البرامج والمواد التي لا مناص من تقديمها باللسان العامي . كذلك نقترح اجراء مسابقات في اللغة الفصيحة للذين يتقدمون لملء، وظائف المذيعين والمحررين في الاذاعة والتلفزيون، وتفضيل الاكفياء منهم على غيرهم في الحصول على هذه الوظائف. ونقترح ان تقدم جوائز تشجيعية للقدامى منهم، الذين ينجحون في استدراك ما فاتهم من معرفة باللغة الفصيحة عن طريق التعلم والمطالعة . ولقد يكون من المفيد توظيف (مراقبين) في الاذاعة والتلفزيون تكون مهمتهم ضبط نشرات الأخبار، والارتقاء بمستواها اللغوي ، وتشكيلها للمذيعين قبل إذاعتها على الناس.

اننى على يقين بأن هذه الإجراءات، كفيلة في حالة تنفيذها برد الاعتبار للغة الفصيحة، واشاعة استعمالها في اوساط الشعب من خلال وسائل الأعلام.

يبقى...ان (العزم) هو الذي يسبق القرار، ويهدي اليه، ويصنعه.

فهل عزمنا على أن نهي اغترابنا عن اللغة الفصيحة، ونجدد شبابها ، ونجدد بها، وانجعلها عنوان وجودنا،واساس نهضتنا؟

ذلك هو السؤال الكبير.

وحين نقصد العزم، يهون أمامنا كل صعب. ويسهل علينا كل شيء.

وقديما قيل (أنا صدق العزم وضح السبيل)

أشكركم أيها السيدات والسادة

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تعقيب: عقب الدكتور محمود ابراهيم - مدير الندوة - على كلمة الأستاذ محمود الشريف بقولة:

جميل أن نسمع هذا الجزء الأخير من كلام الأستاذ محمود، على الرغم من أن الغرب تفوّق علينا اقتصادياً وعلمياً وعسكرياً، ينبغي أن لا يجعلنا نؤمن بان هذا التفوق لا بدّ أنيبنى عليه شعورنا بالانسحاق الحضاري، وتسليمنا بما نعاني منه من تراجع لغوي. وهنا أذكر على سبيل المثال أن الناس في بلد كأيسلندا، وأيسلندا جزيرة صغيرة جدا، يصرّون على أنْ لا يدخل لغتهم من اللغات الأجنبية الا القليل جدا، على أساس أنهم لا يريدون أن تطغى اللغات الأجنبية على لغتهم، على الرغم من أنهم أبناء جزيرة صغيرة. والمثال الذي أكرره أن أورده كذلك، هو العدو الصهيوني المجاور لنا. فأية لغة كانت لهؤلاء الناس في فلسطين قبل عام 1913؟ ومع ذلك فهم الآن يستعملون اللغة العبرية في جميع مسارب الحياة عندهم، بما في ذلك لغة العلم والتقنية في جامعاتهم. ثم إن معرفتنا موضع الضعف فينا لا يعني بالضرورة أن نتقبل هذا الضعف، إذ ينبغي أن نرفض الشيء، من أجل أن ننطلق إلى وضع أفضل، كما فعلت أمم أخرى من قبلنا.

وأعود إلى قضية اللغة القياسية، لغة وسائل الأعلام، فأقول إن أجهزة الاعلام يفترض أن تكوّن لدى المستمعين ما يسمى اللغة القياسية. ففي بريطانيا مثلا كانوا يسمّون اللغة القياسية أو الراقية (kings English) اللغة الملكية. ومع الزمن، أصبحوا يسمونها (EnglishB.B.C) أي لغة هيئة الإذاعة البريطانية. وفي أمريكا يسمون اللغة القياسية (network English) أي لغة وسائل الأعلام. وليس لنا نحن العرب من لغة قياسية الا اللغة العربية الفصيحة. فهل نخطط في أجهزة إعلامنا لكي تكون هذه اللغة العربية الفصيحة هي اللغة القياسية، اللغة المرجعية، ولا سيما أنه من حق أن تنزل القرآن الكريم وخُطّ بالقلم، أصبح يكوّن لغة مرجعية مكتوبة للناطقين بالعربية. فهل نستغل هذه المعطيات الجديدة للتقنية من أجل أن نؤكد أن عربيتنا الفصيحة هي اللغة القياسية التي ينبغي أن تكون لغة مشتركة عامة بين الناطقين بالعربية حيثما كانوا. لعل الأستاذ أحمد يلقي ضوءا على الموضوع.

كلمَة

الأستاذ احمد العنـَاني

بسم الله الرحمن الرحيم

موضوعات الإعلام وسدانة اللغة الفصحى أمور سهلة الاتساع والتشعب، سريعةالا شتعال لاتصالها بقضايا وعواطف عميقة الأوتار في قلوبنا، لهذا أرى ابتداءً تحديد أبعادالموضوع الذي نتناوله في هذه الندوة تحديداًيحفظنا بحرص في إطار موضوعي بالغالوضوح.

وسائل الإعلام هي قنوات لمخاطبة السمع والبصر بأسلوب متميز، ممتع ومثير، وذلك للتأثير في قناعات وسلوك أكبر عدد ممكن من الناس المستهدفين إعلاميا.

أهم هذه القنوات في عصرنا الحاضر دون ريب هي الصحف والتلفزيون والاذاعة والسينما والمواد المسجلة والملصقات، والخطب والشعر.

إشاعة اللغة الفصحى معناها توسيع نطاق التكلم عفوياً أو شبة عفوي بلغة عربية التركيب مُعْرَبَةٍ كليا أو جزئيا عربيةِ الأسلوب والنسبة الكبرى من المفردات

يبدو لي عدلاً آن يقال الآن إن المبحوث عنه في هذه الندوة بات واضحا وضوحا حاسما قاطعا.

وأرى مفيدا جداًأن نظل نتذكر أن اللغة - أي لغة - هي نشاط إنساني يتطوربال ممارسة تماما كالمشي والركض وذلك وفق الأنماط المتاحة من تلك اللغة ومدى تأثيرهافي النفوس. ومن المعلوم أنه حتى في الشعر والنثر الفني هناك مواطن معينة يَكْمُنُ فيهاتأثير ساحر يضفي جماله على سائر العمل الشعري أو الأدبي بفضل عوامل معينة متوفرةفي تلك المواطن كما يرى الناقد الانجليزي المعروف أبَركرومْبي. ويمكن أن يقال عموماً إن أهم تلك العوامل ما يلي:

أولا :- المضمون المقنع.

ثانيا:- المضمون المقدم بأسلوب مميز وجميل

وثالثا:- المضمون السلسالانسيابي الذي يتوقف القارئ لمناقشة أمر شاذ فيه أوالتضايق منه.

ومن النماذج الصالحة لبيان أثر تلك العوامل تلك الأقصوصة الطريفة للمقطوعة الشعرية البديعة «قل للمليحة في الخمار الأسود» فقد رُوِيَ أن بائع بزّ (قماش) عَجَزَ عن تصريف مجموعة كبيرة من الخُمُر (أغطية الرأس والصدر) السوداء اللون والتي استثمر فيها رأسماله القليل، فلما أعيته الحلة دون بيعها لجأ إلى شاعر في المدينة معروف فعاد الشاعر إليه آخرَ النهار بهذه المقطوعة اللطيفة التي أدت إلى بيع كل بضاعة ذلك الرجل وبسعر أفضل بكثير مما كان يقدّر أو يرجو:

قل للمليحة في الخمار الأسود ... ما ذا فعَلْتِ بناسك متعبد

قد كان شمّر للصلاة ثيابه ... حتى عَرَضْتِ له ببلب المسجد

ردّي عليه صلاته وصيامه ... لا تقتليه بحق رب محمد

وقيل إن نساء المدينة وجواريها تقاطرن على ذلك البائع لا ينشدن إلا خمره السوداء حتى نفقت جميعها لتكون كل منهن تلك المليحة التي ألهت عابدا عن عبادته بحسن منظرها في الخمار الأسود ...

والمضمون في هذه الأقصوصة الشعرية كما نرى سهل ومقنع، والأداء سليم طريف، وعذب سلس.

لكن علينا أن نعلم أن الاسلوب السهل الشائق يجب أن يكسو مضمونا مقنعا ومحببا، وكذلك فان جدوى المضمون الجيد قليلة إذا كان أسلوب التقديم خشنا جاسيا، أو حوشيا منفرا.

ويبقى الضبط الاعرابي في كل عمل أدبي جزءاً لا يتجزأ من ضبط الشكل أو الأسلوب، ذلك بأن الموسيقى الشعرية الداخلية في مقاطع نثرنا الفني والخارجية أيضا في قوافي الشعر تلعب دوراً في مجمل الأثر الجمالي لبلاغة لغتنا ورسالتها الخالدة.

القرآن الكريم ذلك النمط الأوحد والأعظم

لا يبقى للغة الفصحى تراث ولا ثبات على قيا س، ولا عنصر حافظ لوجودها ضامنلديمومتها مؤكد لعبقريتها وتفوقها واقتدارها على التجدد لو وهن النمط القرآني أو ضعف

أثره وقداسته في النفوس.
ان الارتباط بين المضمون والشكلفي القرآن الكريم هو حامل سرّ الإعجاز الإلهي في ذلك الكتاب الكريم. انه ارتباط قياس جم الى ومموسيقى، وهو الجز ء الأساسي من عبقريةالقرآن وخاصيته وبلاغته، وسر تأثيره ودوامه وانتشاره، وهو ارتباط أقوى م ن العوامل المغيرةللزمان والمكان والمناسبة. ومن شاء م نلا فليقرأ في كتاب ككتاب الاعتبار لأسامة ابن منذ من القرن السادس لله جرة، وليرنظر بعده عن سهولة الفهم والفهم والتذوق السريع رغم كل طرافةموضوعاته وليقارن ذلك بالنمطالقرآني، وليرى كيف لا تشيب للقرآن ناصية من الده ر، ولايختلف أثر ولا جرس ولا وتع. منا وإن كتب الاعتبار ليهون أمره كثيرا إذا قيس بكثير جداً ممّا ألفتقبلة وبعده.

القرآن هو نمط العربية الأسمى وه و الذي تترك ويترك آثار جليةًفي كلام المسلمينوكتاباتهم وسائر أنشطتهم التعبيرية. إنك لتجد الرجل العاميّ من المسلمين يقولها لك فيمناسبها قولةً متقنةًمعربة (انا لله وانا إليه راجعون) أو«قل لن يصيبنا إلا ما كتبَ الله لنا » أو «ولا تزِرُ وازرةٌ وزْرَ أخرى»» إلى مئات التعابير التي تلقى للسامع صحيحة معربةمن أناس عوام.

ومهما تكن بلاغة المحللين وقدرة الناقدين فإن سرّ عظمة القرآن هي من سرّالله جلجلاله. فالقرآن مضمونا يحوي إشارات علمية وأساليب علمية منها ما يختص بالأجرّة، ومنها الفلك والطب وعلم الاجتماع. ومنها الأحياء والنبات وكل ما يختص برسالة القرآنالأولى وهي التذكير بأساس الوجود الانساني ومصيره ودلائل ذلك في كل ما برنفس الانسان وخلقه وبما يحيط به... وهو يحوي المثل الأعلىللسرد القصصي المؤثر السلس المتوازن، وللأدا ءالأدبي المعبرفي و صف الكون ومرا ئي الخلق وبدائع القدرة.

واذا ما دخل الناس عصر السر عة والأداء الخا طف فذلك له أنماطه القرآنية المعجزة سهولةً وحركةً وسرعة أداء وإفهام واذا ما جنح أهل العلم والنزاهة والبحث إلى هدوء الم نطق وتمهّل التعبير وإحكام القول، فنماذج ذلك المثلى منتشرة في كتاب اهلا كما فيسور الأنبياء والحج والنحل م ثلا، وليس هناك أدنى شك بأن ال نمط القرآني له أ سلوبه المتميز في كل اتجاه ،

وأنالإعراب أمر أساسي فيه ولي يس عَرَضيا لارتباطه الوثيق بمعاني العبارات ومعنى التركيب العام والموسيقى الداخلية للتركيب العربي، وأين قولك بالعربية السليمة

أحبْحبيبك بعضَ الحب، وهذا التشويه الذي استحدثته الترجمات السقيمة من لغات الأمم والذي يقال فيه احببته الى درجة كبيرة أودرجة متوسطة.

الإعلام والقران وتراث الفصحى

إن خطورة الإعلام في علاقته بالفصحى أمر لا يحتاج إلى دليل، ويوم كان القرآن هوأداة التعبير الاولى المفضلة في إعلامنا كان القرآن يهيمن بنمطه التعبيري على كتاباتناوخطبنا وسائر أشكال أدائنا الشفوي والخطى وكان النمط القرآني هو الذي يضفي سحر الابداع على تأليفنا، ولقد وصل الأندلسيون في شعرهم ونثرهم حداً لا مزيد عليه منالأداء الجمالي العظيم بكثرة ودقة اقتباسهم وتضمينهم من القرآن الكريم.

إن على أجهزة إعلامنا أن تعاود اعتبار التعبير القرآني مثلا أعلى للنمط السليم الجميلمن الأداء، وعليها أن تضمن إيجاد أفضل العناصر التزاما بذلك النمط وتأثراً به، وإحكام اللأداء على نهجه إعراباً وأسلوبا ومضمونا، ولا شك أن تبني الأمة جميعا النمط القرآني هو مما يوجد الجوّ العام المعزز والمهوّن للدور القيادي للاعلام في هذا السبيل. إن علىصحفنا ألا تدع حتى الاعلانات التجارية تمرّ دون رقابة وضبط على وفق نمطنا القرآني الاسلامي. وعلى مناهجنا التربوية، وسلوكنا العملي في المدارس والمعاهد أن يندرجاتحت رسالة القرآن ويضمنا الأخذ المؤثر بالنمط القرآني.

أن مكاننا على الأرض، وقدر أنفسنا، وقدرتنا على الحفاظ على الوطن مرتبطة جميعابالديمومة الناشطة لمشخّصاتنا الثقافية وعلى رأسها القرآن الكريم مثلنا الأعلى في كلمجالات حياتنا الإعلامية وغير الإعلامية، فعسى الله تعالى أن يهديا لمقطع الحق في هذاالأمر وهو حبا ونعم المولى ونعم النصير.

تعقيب: عقب الدكتور محمود ابراهيم - مدير الندوة - بعد كلمة الأستاذ أحمد العناني بقوله:
الواقع أن ثمة الكثيرمما يمكن أن يقال في ندوة كهذه. ولكن ما من مشارك فيندوة، الا وهو يشعر بعد انتهائها بانه لم يقل الا القليل بالنسبة الى ما كان يعتمل في ذهنه. وقد كنت أودّأن تنتهي الندوة بالحديث عن مقترحات وتوصيات محددة بالنسبةإلى الموضوع الذي نعالجه، موضوع دور أجهزة الأعلام في إشاعة العربية الفصيحة.ولكن لعل من المفيد أن تكون مثل هذه الاجابات منبثقة عن تساؤلات يتقدّم بها الاخوةوالاخوات من المستمعين، لعل تساؤلات كهذه تستوجب بان يجاب عليها بمقترحاتوتوصيات محددة.

سؤال:
كيف يمكن أن نجعل الناس في البيت والمجتمع والبيئة المحلية يتكلمون اللغة الفصيحة؟

أود أن أقوللاخ السائل إنه حتى في زمن امرىءالقيسي وأصحابه من شعراء المعلقاتلم يستعمل الناس في احتياجاتهم اليومية لغة المعلّقات واللغة الفصيحة في أعلى مراتبها.كل ما هنالك، كان ثمة نوع من التقارب ما بين اللغة الأدبية ولغة الحياة. ولا نتصورمطلقا أنّ الناس في أيّ عصر من العصور كانوا يتكلمون في حياتهم اليومية، اللغة الأدبيةالراقية التي نقرؤها في المخلّفات الشعرية أو في المخلّفات الأدبية الأخرى. فالرسول عليهالصلاة والسلام تحدّث أحد أصحابه في حضرته وأخطا في اللغة، فقال لأصحابهالآخرين: (أرشدوا أخاكم فقد ضلّ). ونحن لا نقف ضد التيار الطبيعي، ولا يمكن أن اتصور، وانا مدّرس للغة العربية منذ مدة طويلة، أن اذهب الى صاحب الفرن لاشتريالخبز باللغة العربية الفصحى، أو لاشتري الفاكهة باللغة العربية الفصحى، لأن هذا الامر مخالف لطبائع الأشياء. ولذا فإن الذي نهدف اليه هو:-

أولا: أن يكون ثمة نوع من التقارب ، عن طريق أجهزة الاعلام، ما بين العربيةالفصيحة

والعامية،لكي تصبح العامية شكلا من أشكال اللغة المفصّحة القريبة

من اللغة العربية الفصحى، على الاقل في ألفاظها، اذ إنّنا لا يمكن أن نشكل مفردات اللغة في حديثنا اليومي.

ثانيا: أن يألف الانسان العربي اللغة العربية الفصيحة فيما يسمعه ليل نهار من أجهزةالأعلام ، لكي يستطيع عند اللزوم أن يتحدث بها دون تلعثم، وأن يفهمها وانيستعملها تلقائيا كتابة و قراءة وحديثا، وأن يستوعبها استماعا. وأظن أن هذا أمر ممكن جدا. وانا استطاعت أمم أخرى أن تفعل ذلك بالنسبة إلى لغاتها اليومية، فنحن بلا شك قادرون على ذلك. وه نا أذكر أنني كنت في ندوة سنة 1978 فيتونس، وتحدثت في الندوة عن اللغة العربية الفصحى، فقام أحد إخواننا م ن تونسليقول، إن كان لابد من لغة عربية تستعمل في حيات نا ، فلتكن العربية العامية، لأنهالغة الحياة، ولأنها أكثر حرارة، فالعربية الفصيحة كما قال، هي لغة قد ماتتوتجمّدت ولم تعد لها علاقة بحياتنا. وقبل أن أردّ عليه، وكان المؤتمر يضم رجالاونساء من أقصى بلاد الشرقالى أقص بلاد الغرب، قامت امرأة بولندية لتقول له:
إنك مخطئ فيما تقول. فنحن في بولندا نستعمل في حياتا اليومية لغات ولهجاتمختل فة، ولكن لنا لغة قياسية واحدة مشتركة فيما بيننا، وهي اللغة التي تجمع بينأباء بولندا جميعا. فالذي نريده إذن، أمر معقول و ممكن وعملي. نريد التقارب بينالعامية والفصحى، ونريد الألف ما بين الإنسان العربي والعربية الفصحى.

وأذكر في هذه المنا سبة أن ه ناك أطفالا في هذا المجتمع ، بعد أن ا ستمعوا الى مجموعة من المسلسلات العربية الفصيحة، أخنوا يتكلمون بعربية فصيحة تقليدا لماس مع وا. وقد سمعت طفلا في السادسة والنصف من عمره يقول بصورة تلقائية:«لا تتسببنت شفة»، دون أن يشعر أنه

يتحدث بلغة غير عادية.

الخاتمة:

في ختام لقائنا هذا، أكرر شكري العميق للزميلين الكريمين الأستاذ محمود الشريفوالأستاذ أحمد العناني، ولكل أخ وأخت منكم، ولا سيما أولئك الذين تقدّموا بتعقيباتعلى هذه الندوة، أو تساؤلات حول ما جاء فيها.